المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية
المجلد الخامس عشر - العدد الثالث ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
٣

WWW.ATTAWEEL.COM

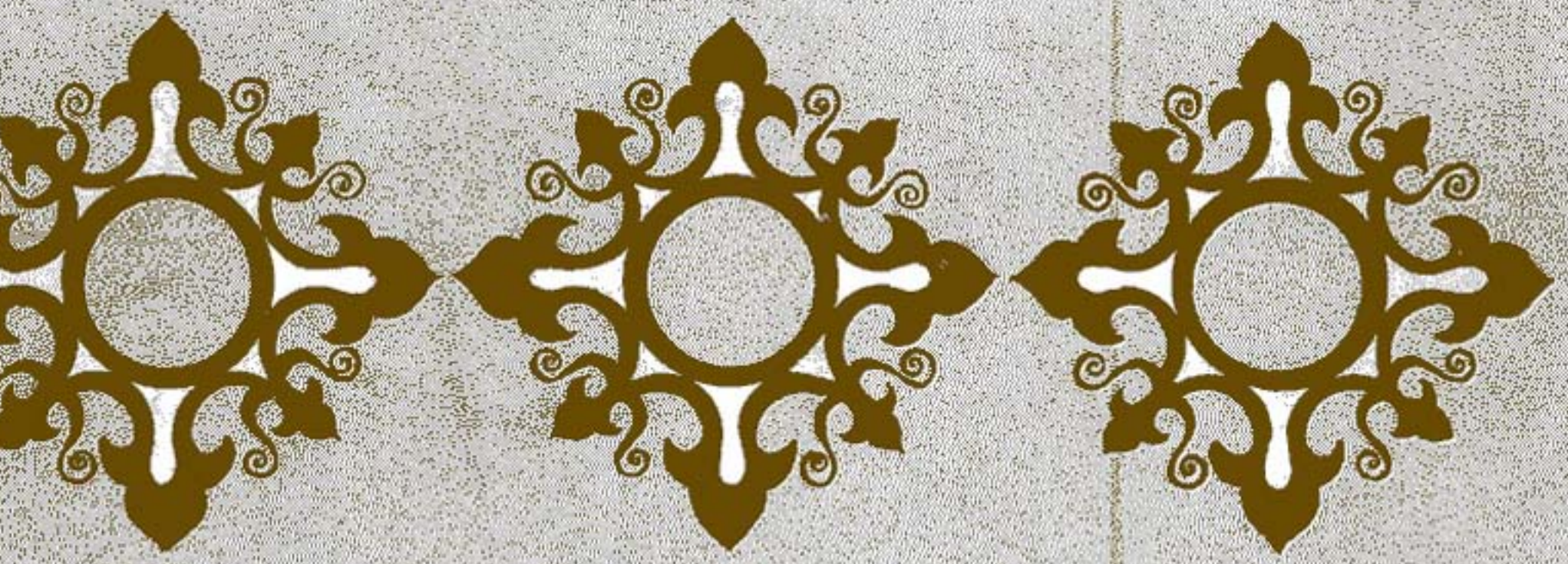

أسد الدين محمد

صمود الموصل أمام غزو نادرشاه سنة ١١٥٦هـ

سعيد الديوه جي

نينوى / الجمهورية العراقية

— ١ —

قامت الدولة الصفوية في ايران ، وكانت في نزاع مستمر مع الدولة العثمانية ـ في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة ـ (١)

— ٢ —

وللموصل دور فعال في صد الهجوم الصفوي، والوقوف امام كل باغ يقصد بلادنا ، وشارك ابناؤها في الحملات التي حاربت الصفويين ، وتوغلوا في بلادهم وعادوا منصورين ظافرين .

والحاج حسين باشا الجليلي ـ والي والموصل وابنها البار (٢) ـ هو احد ابطال هذه المعارك ، شارك في التوغل ببلاد الصفويين مع الجيوش العراقية التي كانت بقيادة والي بغداد احمد باشا بن حسن باشا سنة ١١٤٣هـ = ١٧٣٠م ووصلوا في زحفهم الى مدينة «همدان» واحتلوها سنة ١١٤٤هـ=١٧٣١م.

ولما تقدم الصفويون لمحاصرة بغداد سنة ١١٤٥هـ = ١٧٣٢م ارسل الحاج حسين باشا الجليلي الف جندي من الموصل بقيادة محمد اغا ال شويخ (٣) ودافعوا عن بغداد مع اخوانهم .

كما كان الحاج حسين باشا يمون الجيوش العثمانية التي تمر بالموصل لحرب الصفويين ، ويقدم لهم الذخيرة والعتاد ويسهل لهم ما ينقصهم .

---

١ ـ وبلغ الامر بينهما ان كل دولة منهما كانت تكفر الثانية بما اصدروه من الفتاوى الباطلة ، والاسلام بريء مما ذهبوا اليه ـ « انما المؤمنون اخوة » .
انظر : مقدمة كتاب ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء لاحمد بن الخياط الموصلي ـ تحقيق : سعيد الديوه جي ـ الموصل ١٣٨٥هـ .

٢ ـ الحاج حسين باشا الجليلي : من اجل الولاة الذين تولوا الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة ، امتاز برجاحة عقله ، وحسن تدبيره ، وسياسته الرشيدة ، وحبه لبلاده ، وقد اشاد مستفيضة في كتب التاريخ والتراجم ، منها :

منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء لياسين بن خيرالله العمري ـ تحقيق : سعيد الديوه جي ـ الموصل ١٣٧٤هـ : ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .
منها الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، تاليف : محمد امين بن خيرالله العمري ـ تحقيق : سعيد الديوه جي ـ الموصل ١٣٨٦ هـ : ١١٤ ـ ١١٥ .

٣ ـ محمد اغا ال شويخ : احد رؤساء الفرق الانكشارية « الينجرية » ولم تزل اسرته تعرف في الموصل باسم « عمر اغا » الذي تولى وظيفة « لكجي باشي » في الموصل .

WWW.ATTAWEEL.COM

ففي سنة ١١٤٦ هـ = ١٧٣٣ م توجه طوبال عثمان باشا الى ايران واستقبله الباشا الجليلي في الموصل واضاف جيشه مدة بقائه في الموصل ، كما مونه بالذخائر والعتاد ،

التقى طوبال عثمان باشا بجيش الصفويين قرب « نهر العظيم » ، وجرت بينهما معركة دامية خسرالطرفان اعدادا كبيرة بين قتيل وجريح، وانتصر طوبال باشا عليهم ، وبعد المعركة ارسل الجرحى الى الموصل ، فاعد الحاج حسين باشا لهم ما يريحهم ، وجمع الاطباء لمعالجتهم تحت اشراف رئيس اطباء الموصل الحاج محمد العبدلي .(٤)

وفي سنة ١١٤٧هـ = ١٧٣٤ م توجه عبد الله الكوبرلي لحرب الصفويين ، ولما حل في الموصل استقبله الحاج حسين باشا الجليلي وقدم لجيشه ما يحتاجه من ذخائر وعتاد ، واضافه مدة بقائه في الموصل ، مما نال اعجاب الوالي عبدالله باشا الكوبرلي ، فالبسه حلة الوزارة التي انعم بها السلطان العثماني باحتفال كبير شارك به جيشه وجيش الموصل .

هذا مما عزز مكانته في الدولة العثمانية ، وصاروا يعتمدون عليه في مهام الامور ، فهو رجل ادارة وحرب وتدبير ، بصير بالامور ، وكان يراقب حركات الصفويين ، ويخطط لما يتوقعه منهم ، فيعد العدد لمقابلتهم .

وعليه كانت الموصل في طليعة جيوش الولايات التي دافعت عن بلادنا العزيزة : تمون الجيوش ، وتعد العدد وتساهم بابنائها الغيارى فيخوض المعارك الدامية ، فهي صخرة منيعة في وجه من تسول له نفسه ان يدنو من بلادنا ، فأن دنا عاد خائبا ذليلا ، فهي قلعة العروبة والاسلام

٤ ـ الحاج محمد العبدلي ـ ١١٦٤هـ : نسبة الى قبيلة عبدالله ، أخذ الطب والعلوم عن علماء الموصل ، ورحل الى الشام ومنها الى القاهرة ، وأخذ عن علمائها واطبائها ، وعاد الى بلده ونشر علومه وطبه ، وكافة اطباء الموصل ـ اذ ذاك ـ اخذوا عنه ، فكان رئيس الاطباء والعلماء في عصره .
منهل الاولياء : ١ : ٢٦٧ ـ ٢٦٩ .

shwaihy

ـ ٣ ـ

ضعفت الدولة الصفوية في اواسط القرن الثاني عشر للهجرة ، وكان اخر ملوكها عباس الثاني، ضعيف التدبير ، ليس له من الامر شيء ، طمع الاعداء في بلاده واستولوا على جوانب منها ، فاستبد بالملك نادر شاه قولي خان ، ولقب نفسه « طهماسب قولي خان » وطويت مهما سب الثاني .

جمع طهماسب قولي خان شمل الدولة ، ووطد الامر فيها ، وحارب الافغان ، وبعض بلاد الهند واذربيجان وغيرها .

وصمم بعد هذا ان يثأر من الدولة العثمانية، وكان سفاكا للدماء ، يفتك بالبلاد التي يقصدها ، ليلقي الرعب في البلاد الاخرى .

اراد طهماسب قولي خان ان يقطع خط المواصلات بين الدولة العثمانية والعراق ، ليصفوله الجو ولم يعلم ان ام الربيعين له بالمرصاد ، وقد اعدت العدد ، وجندت الابطال ، وهي تترقب يوم النصر .

ـ ٤ ـ

ولما حاصر بغداد في رمضان سنة ١١٤٥هـ = ١٧٣٢م ارسل الى الموصل ثمانية الاف من الجند ، بقيادة « نركز خان » ، لعل هذا يحمل الحاج حسين باشا الجليلي ان يسحب جيشه عن بغداد

وفي يوم ١٥ / شوال وصل نركز خان الى الغزلاني(٥) وعسكر قرب ايوان علي كدوم باشا(٦) ليرعب اهل الموصل ، فلم يعبأ الحاج حسين باشا بهذه القوة ، وخرج بنفسه للقائه، وكان هو في مقدمة

٥ ـ مرقد الشيخ محمد بن علي الطائي الموصلي المشهور بالغزلاني : يقع في كهف بلحف التل الذي عليه معسكر الغزلاني ، ودفن به بعد موته سنة ٦٠٥هـ كما دفن به ابنه أحمد الغزلاني ٦٤٠هـ ، وبنى عليه علي باشا الربيعي مسجدا سنة ١٠٩٥ هـ وعرف المكان بمرقد الغزلاني . منية الادباء : ١٨٥ ـ ١٨٦ .

٦ ـ علي كدوم (قدوم) باشا الربيعي : تولى الموصل سنة ١٠٩٥هـ ، وعمر الايوان الذي فوق مرقد الغزلاني ، يشرف على السهل الممتد الى نهر دجلة ، كان يخرج اليه في الاماسي ، وهو من منتزهات اهل الموصل ، واشتهر بايوان علي كدوم باشا . وتولى الموصل ثانية سنة ١٠٩٨ ـ ١٠٩٩هـ .
منهل الاولياء ١ : ١٣٨ ـ ١٤٠ .

الجيش يحف به اخوه عبدالفتاح بك[٧] ، وولداه مراد بك ومحمد امين بك ، [٨] واولاد عمه عبدى اغا [٩] ومصطفى اغا والحاج قاسم اغا . [١٠]

واشتدت الحرب بينهما الى وقت العصر ، وفتك ابطال الموصل فتكا ذريعا في جيش نركز خان بين قتيل واسير ، وقتلوا نركز خان ، ولاذ من سلم منهم بالفرار ، وعاد الحاج حسين باشا منصورا ، يحف به جيشه يحملون رأس نركز خان على رمح ، [١١] .

كانت المعركة درسا وعبرة لطهما سب قولي خان وجيشه ، وعلم ان ليس من السهل ان يقصد قلعة العروبة والاسلام ام الربيعين ام الاشبال والابطال ، الذين اوقفوا انفسهم للحرب والدفاع عن بلادهم مهما كلف الامر .

ـ ٥ ـ

هذا ما حمل نادر شاه ان يحنق على اهل الموصل وعزم على التوجه اليها ، واخذ الثار منها ـ واخذ يستولي على البلاد الواقعة شرقي دجلة ، والتي تمتد من بغداد الى شمال العراق ، يريد بهذا ان يقطع طرق المواصلات بين بغداد والموصل ، ويعرقل سير الجيوش التي ترسلها الدولة العثمانية الى العراق ، كما يمنع عن الموصل الذخيرة والعتاد اذا استدعى الامر ، وفي طريقه اكتسح البلاد فاستولى على خيراتها ، وفتك بالسكان وشردهم ، وهدم دورهم ، واحرق المزارع التي مر بها ، وتركها خاوية من السكان والذخيرة .

توجه الى كركوك سنة ١١٥٦هـ = ١٧٤٣م وحاصرها عدة ايام وامطرها بوابل من القنابل فهدم اكثر دورها ودمرها على رؤوسهم ، ولم يكن عندهم من الاستعداد ما يحملهم على مقاومته فخرج اليه ابن بداغ ، وقاضي كركوك « وحسن افندى الكركلي » ، وطلبوا اليه ان يكف عن ضرب القلعة ، واستسلموا اليه ، فدخلت جيوشه القلعة ، وفتكوا في القتل والاسر والمصادرة وهدم الدور .

اما والي كركوك حسن باشا المعروف بابن حمال ومحافظها احمد باشا الحلبي ، فان طهما سب وبخهما على مقاومتهما ، وامر ان يعطوا والي كركوك جوادا هزيلا ويسيروه الى الموصل ليشاهده الموصلة وما ال اليه امره عندما قاوم طهماسب .

وبعد هذا بايام ارسل محافظ كركوك احمد باشا الحلبي الى الموصل ، في نفس الهيئة التي ارسل بها الوالي ، فجاء الى الموصل بحالة مزرية ومضى الى بلاد الاناضول ليشرح للسلطان ماوقف عليه من قوة وبطش .

اما اهل الموصل فانهم لم يرتاعوا من هذا ، بل زادوا في نشاطهم واندفعوا ليلا ونهارا يعدون العدد ، ويحصنون البلد ، وهم بالمرصاد لكل من يقصدهم .

ـ ٦ ـ

توجه نادر شاه الى اربل ، يدمر ما يمر به من القرى والنواحي ويفعل بها ما فعله بالبلاد التي احتلها من قبل ؛ فنصب عليها المدافع ، وامطرها بالقنابل والقنابر ، واستمر القصف اربع ساعات ، والمدافع تفتك بالقلعة ومن فيها ، فاستسلم اليه اهلها ، فنكل بهم ، ودمر القلعة .

ـ ٧ ـ

ثم انثنى فارسل من جيشه الى مدينة عقرة [١٢] وما يحف بها من قرى ومازرع ، فاستولى عليها ثم ارسل قسما من جيشه الى قرى اليزيدية ،

---

٧ ـ هو عبدالفتاح باشا بن اسماعيل باشا الجليلي ، تولى الموصل سنة ١١٨٢هـ .
منهل الاولياء : ١٨٢ ـ ١٨٦ .
غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام : ٢٢٥ .

٨ ـ هو الغازي محمد امين باشا الجليلي ، تولى الموصل ست مرات ، ١١٦٦ ـ ١١٨٩ هـ .
جوامع الموصل لسعيد الديوه‌جي ، بغداد ١٣٨٢هـ ، ١٨٠ ـ ١٨٦ .
غاية المرام : ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

٩ ـ هو جد اسرة بيت اغا الجليلي في الموصل .

١٠ ـ الحاج قاسم اغا بن الحاج خليل اغا الجليلي ـ ١١٦٤هـ ، كان من اهل الراي والتدبير يعتمد عليه الحاج حسين باشا الجليلي ، يستشيره ويأخذ برايه ، كما كان اديبا ، شاعرا ، كاتبا .
منهل الاولياء : ١ : ١٨٣ ـ ١٨٦ .

١١ ـ انظر : منهل الاولياء : ١ : ١٤٧ .

١٢ ـ عقرة : قضاء تابع لمحافظة نينوى ، يقع في الشمال الشرقي منها في سفح جبل يعرف بها ، وكانت تعرف « بعقر الحميدية » ، تشتهر بفواكهها وارزها ، وهي مدينة جميلة .
منية الادباء : ٥٤ .

(١٣) فخربوها وحرقوا المزارع وقتلوا السكان ، وفعلوا مثل هذا بقرى الصوران (١٤) ، واستمرت جيوشه تكتسح البلاد الى شمال بلاد الجزيرة(١٥) ، يريد بهذا اضعاف الموصل بقطع الذخائر والامداد عنها ، ولم يعلم ان اكثر اهل القرى التي حول الموصل حصدوا زروعهم ودرسوها ، ونقلوا غلاتهم وما يحتاجونه الى الموصل ، ولم يبق في اكثر القرى الا الشيوخ والعجائز وبعض رجال الدين .

— ٨ —

وكان الحاج حسين باشا الجليلي يتابع اخباره ، ويمد المدد لمقاومته ، خاصة بعد قدوم حسين باشا القازوقجي(١٦) — والي حلب الذي عينه السلطان محافظا لمدينة الموصل — كان هذا مهندسا بارعا ، وعسكريا مدبرا ، ساعد الباشا الجليلي في تدبير احكام وسائل الدفاع .

جمع الحاج حسين باشا اهل الراي والمشورة ، وشرح لهم ما وقف عليه من قوة العدو ، وما عليه سور المدينة والخندق الذي يحف به ، والادوات الحرب عندهم قليلة ، لا تقوى امام العدو ، وعلينا ان نقوم جميعا بتهيئة مانحتاجه من عدد وعدد ، وانا واهلي نعمل معكم فهبوا جميعا الى الاعمال التي تحصن مدينتهم وذلك :

١ — عطلوا الاسواق والاعمال وكافة المرافق ، وتوجهوا الى صيانة السور ، وكان الوالي الجليلي وعشيرته في طليعة العاملين ، وساهم في هذا كافة الناس حتى ان ائمة المساجد والمدرسين ورجال الدين ساهموا في هذا العمل .

٢ — ضرب الخيام ظاهر المدينة ليشرف المتقدمون على الاعمال ، وامر اصحاب الاجواق الموسيقية ان يدوروا على العاملين ، ويعزفوا لهم الانغام الحماسية التي تنشطهم وتدفعهم الى مضاعفة العمل — فكانوا يتناوبون هذا ليلا ونهارا .

٣ — حصدوا الحبوب ونقلوها الى داخل المدينة ، وامروا الفلاحين ان ينتقلوا الى المدينة مع مواشيهم وحيواناتهم

٤ — اعدوا المزيد من البارود ، وما تحتاجه البنادق والمدافع .

٥ — وزعوا البنادق على المحاربين — بعد فحصها واصلاح العاطل منها — واخذوا يتدربون عليها ، ونقلوا المدافع والقنابل والبارود الى البروج التي في السور كما وزعوا المحاربين على السور والبروج ، ومعهم اسلحتهم على ان يكونوا على استعداد ويقظ ليلا ونهارا .

٦ — بعد ان رمموا السور واحكموه حفروا ابارا ظاهر السور على كتف الخندق ، يبعد احدهما عن الاخر عشرة اذرع وسترروها بالتراب حتى اذا ما حاول العدو نسف السور فان قوة البارود تتسرب الى الابار ، ويسلم السور — وهذا ما حدث فعلا ثم انثنوا على الخندق فعمقوه وازالوا ما به من اوساخ وضموها على كتف الخندق .

٧ — حولوا مجرى نهر دجلة الى الخندق الذي يحف بايج قلعة(١٧) القلعة الداخلية — وجعلوا عليه حامية كبيرة ليشرب اهل البلد منه عند الحصار .

٨ — خرجوا ظاهر السور ورفعوا التلال التي تشرف على السور وجعلوها بمستوى الارض ، خشية ان يستفيد العدو منها عند الحصار فيضع عليها مدافعه .

وهكذا باتت الموصل مستعدة تمام الاستعداد ، تراقب قدوم العدو

١٢— قرى اليزيدية : اكثرها في فضاء عين سفني التابع لمحافظة نينوى ، واكبرها قرية « باعذرا » يقطن فيها اسرة « المير » — امراء اليزيدية .

١٤— الصوران : وتسمى سوران : امارة كانت في منطقة راوندوز ، واستمرت الى القرن الثالث عشر للهجرة الشرفنامه — الامير شرف الدين خان البدليسي ، نقلها الى العربية ملا جميل بندي روزبياني بغداد ١٣٧٢هـ : ٢٧٣ — ٢٨٩ .

١٥— الجزيرة : يريد بها جزيرة ابن عمر التي تقع في شرق بلاد الانضول .

١٦— حسين باشا القازوقجي والي مدينة حلب : ولاه السلطان محافظة الموصل مدة الحصار ، فدخلها مع الف جندي وساهم بتدبير الدفاع ، وبعد انتهاء الحصار عاد الى ولايته حلب ، توفي سنة ١١٧٦هـ .
سجل عثماني : ٢ : ٢١٠ .

١٧— ايج قلعة — القلعة الداخلية — انشاها العثمانيون داخل مدينة الموصل على نهر دجلة ، قرب الجسر القديم ، وحفوها بسور ، واتخذوها مركزا لقيادة الجيش الانكشاري ، وفيها العتاد ولوازم الجيش ، وكان الوالي يقيم بها بعض السنين ، يفصلها عن الميدان الذي كان قربيها قناة ، تاخذ ماءها من دجلة ونصب عند جامع الاغوات ، وادركنا بعض منشاتها ، والجامع الذي كان فيها . اقيم على جانب منها دائرة البلدية التي هدمت سنة ١٩٦٩م ، والآن هي موقف للسيارات .
انظر عنها : بحث في تراث الموصل لسعيد الديوه جي — الموصل ١٤٠٢هـ : ١٠٣ — ١١٣ ، وانظر مخطط الموصل شكل — ١ — .
وانظر ايضا مخطط ايج قلعة شكل — ٢ — .

اما موقف الدولة العثمانية :

١ ـ امروا حسين باشا القازوقجي ان يتولى محافظة الموصل ، وانضم اليهم قوج باشا حاكم كويسنجق (١٨) ومعه خمسمائة من الاكراد ؛ وكذا خالد باشا البابانى حاكم قره جولان .

٢ ـ ارسلوا الى الموصل مبلغا قدره خمسمائة الف قرش كاعانة لهم .

٣ ـ ارسل شيخ الاسلام فتوى يذكر اهل الموصل : ان قتيلهم شهيد ومحاربهم غاز ، واستقبل الناس هذه الفتوى بسخرية(*) وقالوا لمن جاء بها : ان كنت انت صادق المقال ، فاثبت معنا حتى تنال احدى الحسنيين ؛ وشاركنا في القتال ، ولكن حامل الفتوى لم يثبت في الموصل وعاد مسرعا الى الاستانة .

ـ ٩ ـ

ولما وصل نادر شاه الى الزاب الاعلى (١٩) جمع قواده واهل الراي منهم ، واعلمهم انه يريد ان يسير الى الموصل ، وعليهم ان يستعدوا لهذا الامر . واوعز الى ملاباشي علي اكبر رئيس علماء ايران ان يكتب لاهل الموصل يرغبهم بالاستسلام ويحذرهم عاقبة المقاومة .

فكتب علي اكبر كتابا الى مفتي الموصل (٢٠) وفيه تهديد وتخويف لمن يخالف اطاعة الشاه نادر شاه ؛ وينصح اهل الموصل ان يخرجوا لاستقباله ويستسلموا له لكي ينجوا من عقابه خاصة وانهم قد سمعوا ما حل بالبلاد التي وقفت امامه ؛ ومع هذا فهو لايريد سوءا باهل البلد ، وانما يسعى ان يوفق بين المذاهب ـ فان ابوا فلا يلوموا الا انفسهم

وهو يريد بهذا ان يوجه الكلام الى والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي ، ومحافظها حسين باشا القازوقجي وغيرهما من مقدمي البلد ، وعليهم ان يفتحوا له ابواب البلدة ، ويستقبلوه ويقدموا اليه خمسمائة الف من النقود .

وارسل الكتاب مع حسن افندى الكركوكلي، (٢١) وهو احد الذين سلموا كركوك واستسلموا اليه .

ولما وصل الرسل الجانب الشرقي من دجلة ، اعلموا الحراس انهم رسل من نادر شاه ، يحملون كتابا فيه خير البلد ؛ فارسل الحاج حسين باشا طرادة (٢٢) نقلتهم الى الجانب الغربي .

وبعد الاطلاع على الكتاب امر الحاج حسين باشا ان تضرب خيمة قرب الجامع المجاهدى ـ الجامع الاحمر على دجلة ،(٢٣) وجمع رؤساء الاصناف (٢٤) والجيش واصحاب الراى ، كما اجتمع الجم الغفير من اهل البلد .

وقبل ان يقرأ الكتاب على الجمع ، اعترض الوالي على توجيه الكتاب من علي اكبر الى مفتي الموصل ، واعلمه انه من الاصول في مثل هذا الامر ، ان يوجه الكتاب من نادر شاه الى والي الموصل ، فهو صاحب الامر والنهي في البلد .

ثم امر بقراءة الكتاب على الجمع الغفير الذي احتشد حول الخيمة، وفيه مافيه من طيش وغرور وتهديد لاناس لا يعبأون بمثل هذه الاقاويل .

فثار الجميع وهتفوا بلسان واحد : نحن له بالمرصاد ونبذل النفس والنفيس في الدفاع عن مدينتنا ، وان احب الموت فليتقدم .

وقال محافظ الموصل حسين باشا القازوقجي للرسل : لم نأت الى هذه الديار لتسليم القلعة ، وانما نحن مستعدون لحفظها ، والحرب دونها، ونحن مستعدون لحفظها ، والحرب دونها ، ونحن نقاومكم بكافة جندنا واهل المدينة اما طلب الشاه اننا

١٨ـ كويسنجق : قضاء تابع لمحافظة السليمانية .

١٩ـ الزاب الاعلى ويسمى ايضا الزاب الكبير ، احد فروع دجلة ، يصب عليه امام تل كشاك .

٢٠ـ انظر ـ ملحق رقم ـ ١ ـ فيه الكتاب الذي ارسله ملاباشي علي اكبر الى مفتي الموصل .

(*) كانهم لم يعلموا بهذا .

٢١ـ حسن افندي الكركوكلي وقاضي كركوك وهما اللذان سلما كركوك لنادر شاه ومعهما من اهل كركوك محمد افندي ومصطفى اغا .
مئية الادباء : ١٨٢ .

٢٢ـ الطرادة : من وسائط النقل في النهر ، وهي قارب يتفاوت حجمه حسب الحاجة ، وقد يكون للنقل من جانب نهر الى الجانب المقابل له .

٢٣ـ الجامع المجاهدي : شيده على دجلة في الربض الاسفل من الموصل مجاهد الدين قيماز الرومي المتوفى سنة ٥٧٦ هو لم يزل يعرف بجامع الخضر ، وبالجامع الاحمر . وقد بحث عنه في كتابنا جوامع الموصل : ٥٥ ـ ٧٢ .

٢٤ـ كان للاصناف ـ النقابات ـ شأن في ادارة البلد ، يرجع اليهم في الامور التي تعنيهم ، وكان الولاة وارباب الحكم يستشيرونهم في الامور المهمة التي تهم البلد .

نستسلم له فهو خيال ، طالما يبقى منا فرد واحد لا نخضع لاحد ؛ وان اراد ان ياتي فالطريق امامه .

واما مفتي الموصل السيد يحيى افندي الفخري[٢٥] فكتب الى ملا باشي علي اكبر كتابا كله تهديدوتقريع وتسفيه لهم، وانهم مغرورون بكثرتهم، فما وعيدكم عندنا الا كصرير الباب ، والقصاب لا تهوله كثرة الغنم ، والاسد يدهشه ويسره تراكم النعم ، وتذكرونا ما فعلتم بالهند والسند وغيرهامن البلاد، وترعبونا بامثال هذه الاباطيل «كلا ستعلمون ثم كلا ستعلمون » ، نحن الاسود الضارية ، اسيافنا صقيلة وسطوتنا ثقيلة ، وحلومنا رزينة ، وقلوبنا كالحديد لا تلين ، « وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار [٢٦] » .

ثم طردوا الرسل وارجعوهم من حيث اتوا .

راى الوفد ما عليه اهل البلدمن ثبات وتضحية وانهم لايرتاعون ولايخافون احدا ؛ وهم الذين فتكوا بجيشه الذي ارسله مع نركز خان وما آل اليه امره .

وبعد بضعة ايام جاء رسول اخر اسمه محمود ؛ من اهل اربل ، ومعه رسالتان من علي اكبر : احداهما للوالي الجليلي ، والثانية لحسين باشا القازوقجي محافظ الموصل ، ينصحهما ان يتجنبوا الحرب ويستسلموا للشاه ، والا سيحل بالبلد ما حل بغيرها من البلاد .

فانبرى اليه محافظ المدينة وقال له : قلنا لرسلكم الذين جاءوا قبل هذا ، اننا لانستسلم ،ولن نسلم هذه البلدة الا بعد ان نستشهد جميعا في الدفاع عن اعراضنا واولادنا ، وان جاءنا رسول اخر منكم فسنرسل اليكم راسه .

هذا ما حمل اهل الموصل ان يضاعفوا استعدادهم ، وحشروا اكبر عدد من اشبالهم في القلاع وعلى السور ، وزادوا عدد المدافع فيها واحضروا كل ما يحتاجونه عند الدفاع ، فكانوا على اتم استعداد لصد من تسول له نفسه الدنو منهم .

٢٥ـ السيد يحيى افندي الفخري مفتي الموصل ـ ١١٨٧هـ ، احد اعلام العلم في الموصل ، وصاحب كتاب الفتاوى المشهورة ـ « بفتاوى يحيى افندي » ، عالم جليل وكاتب مبدع وعلى جانب من الادب .
منهل الاولياء : ١ : ٢٣٩ ـ ٢٤١ .

٢٦ـ انظر الملحق ـ رقم : ٢ ـ الكتاب الذي اجاب به يحيى افندي المفتي على كتاب علي اكبر ملا باشي .

وبينما هم في هذا الحال ، مرّ بالموصل كتخداه والي بغداد محمد اغا[٢٧] في طريقه الى القسطنطينية لمواجهة السلطان العثماني .

واجتمع بوالي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي ، ومحافظها حسين باشا القازوقجي ، مع رؤساء البلد وقادة الجيش : واعلمهم انه سائر الى السلطان يعلمه بما عليه جيش نادر شاه من قوة وعدد ، وعرض لهم بالاستسلام اليه ، وحذرهم من مقاومته ؛ وهو يريد بهذا ان يثبط هممهم ويبعث فيهم الرعب من العدو . وهذا الامر لايخفى على العقلاء الذين قد اعدوا العدد لاستقبال العدو ، ودحره عن بلدهم مهما كلف الامر ؛ وكلامه هذا لايخيفهم بل يزيد هم نشاطا وثقة وعزة نفس .

ولما انتشر هذا الخبر في البلد ، تجمهر الاف الناس حول السراي[٢٨] ، يريدون قتل الكيتخداه الخائن الذي ارسل لبث التخاذل بين صفوفهم ، فاجتمع ابناء عم الوالي مع عدد كبير من الجيش وخلصوا الكيتخداه من القتل ، وسفروه في الحال الى الاستانة .

هذه الدعاية السيئة كانت من قبل نادر شاه، يريد ان يختبر قوة اهل البلد ، ولكنها لم تلق من مصدق فهم على ثقة من قوتهم وعزتهم .

ـ ١١ ـ

اراد نادر شاه ان يتعرض لاهل الموصل ويقف على قوتهم وعزمهم فيما اذا هم بضرب المدينة . ففي يوم ٢٣ /من شهر رجب ارسل عشرة الاف جندي، تطوف في الجانب الشرقي مقابل ابج قلعة ـ [٢٩]

٢٧ـ هو نائب الوالي ومساعده ويكون من ذوى الشان في الادارة والادب .

٢٨ـ السراي : مقر الوالي ـ دار الحكم ـ وحاشيته ، كان يقع ظاهر امام السراي ويشمل بناية مصرف الرافدين ودائرة الشرطة المجاورة له .
انظر مخطط الموصل ـ شكل ـ ١ ـ عن موقع السراي .

٢٩ـ الارض التي بين القناطر التي كانت تتم الجسر القديم وقت الفيضان ، وتمتد شمالا الى غابة قرة كوز ، وهذه الغابة تمتد الى موقع الغابات الذي انشيء على قسم منها انظر شكل ١ .

القلعة الداخلية ـ وقلعة باشطابيا (٣٠) ، واستولوا على جواميس كانت ترعى في غابة « قره كوز » واستاقوها الى مقرهم ؛ واخذوا يستفزون جند الموصل .

ارسل اليهم والي الموصل سبعمائة جندي بقيادة عبد الفتاح بك الجليلي ـ شقيق الوالي ـ وابنه مراد بك ؛ فعبروا دجلة وهجموا على الاعداء يقتلون ويأسرون ويفتكون بهم، وغنموا منهم مدفعين مع كمية من العتاد ، مما زحزح جيشهم ، ولكن الشاه امدهم باربعة وعشرين الف مقاتل ؛ طوقوا جيش الموصل ، واشتدت المعركة بين الطرفين ، فقاوموهم ببسالة ، وتمكن جيش الموصل من شق طريق له وعبروا الجسر(٣١) ودخلوا المدينة واحكموا ابوابها ، واستشهد من جيش الموصل عشرون جنديا واسر منهم ثلاثين جنديا ؛ وقتل من جيش نادر شاه مائة وخمسون جنديا .(٣٢)

كانت هذه المعركة درسا واضحا للاعداء؛تجلت فيها روح التضحية والبسالة والاقبال على الموت في الدفاع عن بلدتهم ام الربيعين، ام الاشبال والابطال، الذين يبذلون كل غال ونفيس في الذود عن بلدهم .

عسكر نادر شاه بعد عشرة ايام ، في السهل الممتد من قرية يارمجه (٣٣) الى قرب قرية النبي يونس ،(٣٤) وملأ جيشه هذا السهل الواسع بعده وعدده واستقر في هذا المكان ، ليدبر خطة الهجوم على المدينة .

نصب جسرا قرب يارمجه في خمسة ايام وعبر عليه مع الاف من جيشه في ٢ / من شهر شعبان ، ودار حول البلد ليعين المواقع التي يضع عليهامدافعه ، وامر باقامة ثمانية عشر برجا حول سور المدينة ، اربعة عشر منها تقابل الابراج التي في سور المدينة ، (٣٥) ونصب عليها المدافع استعدادا لضربها ، وركز اكبر قوته على شمال المدينة وغربها .

والسبب الذي جعله يركز اكبر قوته على شمال المدينة وغربها :

تقع دجلة شرقي المدينة والارض التي في الجانب الشرقي منه منخفضة عما عليه ارض الجانب الغربي ؛ وبينهما عرض دجلة ؛ وفي الجانب الغربي قلعة باشطابيا وهي مسلطة على السهل الذي في الجانب الشرقي ، وفيها مقر القيادة والعدد ، وفي الطرف الجنوبي من الساحل الغربي تقع «ايج قلعة» ؛ وفيها المدافع والعتاد ومقر الجيش الانكشاري ؛ وهي ايضا مسلطة على السهل الذي في الجانب الشرقي من نهر دجلة .

والارض التي تقع جنوب ظاهر المدينة سهل واسع ، آخذ بالانحدار الى الجنوب ، ويشرف عليه الجانب الجنوبي من المدينة ، ومن السهل على المدافعين ان يسلطوا قوتهم على من في هذا السهل والسهل الذي في الجانب الشرقي .

اما جانبا ظاهر المدينة في الغرب والشمال فكل منهما سهل واسع مستواه يساوي مستوى الارض التي يقع عليها جانبا المدينة ، لذا ركزوا الضرب على هذين الطرفين ، واقاموا متاريس من خشب وتراب ووضعوا عليهما اكثر مدافعهم : ١٦٠ مدفعا من نوع المورتر ، و ٢٣٠ مدفعا هاونا ، وعددا كبيرا من حاملي البنادق .

٣٠ـ باشطابيا : هي بقايا القلعة الاتابكية ، وفيها برج كبير يشرف على نهر دجلة شرقا ، وعلى الفضاء الواسع الذي يقع ظاهرها شمالا ، وكان فيها فرقة تطل على النهر هي مقر القيادة للوالي الجليلي ، وللمحافظ القازوفجي ، ومن يساعدهما من اهل الراي والتدبير . وما تبقى منها قد تداعى اكثره ، ومن الواجب علينا ان نعنى بهذه القلعة ، فنعيدها ـ قدر الامكان ـ على ما كانت عليه ، لها تاريخ حافل في العهد الاتابكي ٥٢١ ـ ٦٦٠هـ ، وفي العهد العثماني خاصة ايام الحصار ، ونهيب بالمسؤولين ان يقوموا بصيانة ما سلم منها ، واكمال ما يمكن اكماله . وأرى ان يوضع في فتحات برجها بعض المدافع التي كانت ايام الحصار مع عدد من القنابل ، فتكون مزارا لابنائنا ، تذكرهم بمواقف اجدادهم وصمودهم امام كل معتد .

٣١ـ جسر الموصل : يراد به الجسر القديم الذي كانت تتمه عند فيضان دجلة فناطر حجرية في الجانب الشرقي من دجلة ، وله باب يؤدي الى ساحة باب الجسر شكل ١ انظر عنه :بحث في تراث الموصل : ٤٤ ـ ٤٨ .

٣٢ـ منية الادباء : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

٣٣ـ يقع قرية يارمجه جنوب الموصل على شرقي نهر دجلة وتبعد عنها قرابة عشر كيلو مترات .

٣٤ـ قرية النبي يونس : تقع على « تل نوبة » بجانب جامع النبي يونس ، وهي اذ ذاك قرية صغيرة .

٣٥ـ ادركنا اكثر هذه الابراج ، وهي بحالة جيدة ، كما كان عليه السور ، ولعبت معاول الحجارين بها وبالسور بنفضونها ، ولا من يعنى بها ، واخيرا بيعت الابراج والسور فنقضه الحجارون ، وخسرنا سورا كان يعد من اعظم اسوار مدننا . ولم يبق منه الا جزء صغير بجاور باشطابيا ، واجزاء مبعثرة في انحاء المدينة وهي مهدده بالزوال .
سومر : ٢ : ١ : ١١٧ ـ ١٢٩ ، بحث في تراث الموصل : ٨٥ ـ ١٠٣ .

واهل الموصل قد احتشدوا في الابراج وعلى السور ، وبجانبي ابواب المدينة ؛ بعد ان سدوها بالحجارة والجص ، ووضعوا خلفها الانقاض ؛ وضاعفوا عددهم وقوتهم ، وهم يراقبون حركات العدو بيقظة وحذر .

— ١٣ —

وفي اليوم الرابع من شهر شعبان امر الجيش ان يضربوا من على السور والمدينة فامطروها بالقنابل والقنابر بصورة متواصلة .

وفي اليوم الثامن من شعبان سحب اكثر مدافعه الى الجهة الغربية من المدينة ، وركز الضرب على هذا الجانب واستمر القصف بشدة ، ويقصفون المدينة كذلك ، محاولين تدميرها لكي يضطر السكان الى الاستسلام . وقد وصف حسين القازوقجي مالاقته الموصل الصامدة من شدة القصف على البيوت والمتحاربين ؛ وذلك في الكتاب الذي رفعه الى السلطان فقال :

كانت المدافع تطلق قنابلها من اثني عشر برجا على داخل المدينة وعلى من في السور ، مما جعل التراب يلتهب ، والغبار المتصاعد يجعل النهار ليلا، وقطع القنابل المتطايرة تسقط على الدور والسور فتدكها ، واصواتها المرعبة كأنها صواعق ،وضياؤها يجعل الليل نهارا. واستمر الضرب على هذه الشدة ثلاثة ايام متتالية مع لياليها . (٣٦)

واهل الموصل رابضون على الاسوار يدافعون عن عرينهم بصبر وشجاعة مهما اشتد الضرب ، كما ان سكان المدينة كانوا يقومون باعداد البارود ، واصلاح المدافع والبنادق ، وتقديم الطعام والماء للجيش ، مما يريحهم ويخفف عنهم ، وكان المشجعون يطوفون على السور والابراج يحثون الجيش على الثبات ويرددون : الله اكبر ، الله اكبر ؛ فكانت اصواتهم تتردد مع قصف المدافع .

ومن طريف ماجاء : ان قاضي الموصل كان يسير مع الحاج حسين باشا الجليلي، يشجع الجيش، وكان يحسن ضرب المدافع فاذا وجد جنديا تعبا او له حاجة فانه كان يتولى ضرب المدفع في محله ؛ وفي احد الايام مرت قنبلة من فوق راسيهما ؛ فلم يرتع منها ؛ والتفت الى الحاج حسين باشا ضاحكا وقال له : يظهر ان نادر شاه يضرب كل من في البلد ؛ الا يعلم ان هذه القنبلة ربما وقعت على طفل يلعب ؛ او امراة تشتغل في بيتها ؛ او بائع في دكانه — يريد بهذا تشجيع الجيش وعدم الالتفات الى الضرب الشديد .

لم يجد هذا القصف الشديد نفعا ؛ بل انه ضاعف جهد اهل الموصل — المحاربين واهل البلد فكانوا يقبلون على المعركة بحماس وايمان بالله الذي ينصر عباده المجاهدين .

زاد حنق نادر شاه على اهل المدينة وتيقن ان قصف المدينة لايؤدي الى نصر فان القوم قد تعاهدوا على النصر والموت .

امر بمضاعفة عدد الجنود والمدافع ، وان يركزوا القصف على قلعة باشطابيا وباب سنجار(٣٧) .

وباشطابيا هي اكبر قلعة في السور مسلطة على جيشه الذي في ظاهر شمال الموصل ، وعلى جيشه الذي في الجانب الشرقي من دجلة ، وفيها اكبر عدد من الجيش والقوة ؛ وكذا باب سنجار فهو اكبر باب من ابواب السور وفيه قوة كبيرة — محاولا تدمير الموقعين المذكورين — ليسهل الهجوم على المدينة ، واستمر القصف بشدة عليهما وعلى المدينة ثمانية ايام بلياليها ، واهل البلد صامدون يدافعون بجد وحماس .

احدث جيشه ثلمات في السور قرب باب سنجار ، بحيث تتسع لدخول الخيالة من جيشه الى المدينة ، ولكن اهل الموصل كانوا قد اعدوا اكياسا مملوءة بالتراب ، وضعوها امام الثلمات ثم قاموا ببناء ماثلموه من السور في نفس اليوم .

٣٦— نشرنا في منية الادباء (٢٧٧ — ٢٩١) التقرير الذي رفعه حسين باشا القازدغلي الى السلطان العثماني محمود الاول ، شرح به موقف الموصل امام نادر شاه ، وهو باللغة التركية بقلم بارعي افندي . نقلنا الاصل عن مخطوط في خزانة الاستاذ يعقوب سركيس ببغداد ، وتفضل المرحوم الدكتور داود الجلبي فنقله الى اللغة العربية .

٣٧— باب سنجار : هو اكبر باب كان في سور المدينة ، في الجانب الغربي منها ، وحولته بنايات واسمة للجيش والعتاد .
مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل لنفولا سيوفي — حفظناه ونشرناه . بغداد ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦م ، ١٢٨ — ١٣٩ .

— ١٤ —

سحب اكثر جيشه وقوته امام باشطابيامحاولا هدمها ، وفي باشطابيا قوة كبيرة منالجيش والعتاد، وهي مقر القيادة التي يكون فيها الحاج حسين باشا الجليلي ، ومحافظ الموصل حسين باشا القازوقجي واعوانهما من اهل الراي والتدبير، وبها تدبر خطط الدفاع عن المدينة ، واحدثوا ثلمة واسعة قرب باشطابيا ، وتقدم جنوده من الخيالة والمشاةللدخول الى المدينة ، يحميهم قصف المدافع الشديد ، ولكن المواصلة صدوهم وفتكوا بالمهاجمين، فارتدواخائبين بين قتيل وجريح ، وهب المواصلة الى الثلمةوبنوها بجد وحماس حتى انهم كانوا يضعون جثث القتلى في البناء اذا ما اعوزهم الحجر ، وكمنوا خلفها يصدون عن بلدهم واهلهم .

زاد غيض نادر شاه وامر ان يضاعفوا القصف على الابراج التي حول باشطابيا ، فانهارت بعض الابراج ، ولما هم جيش الموصل ببنائها ، كانتالقنابل تفتك بهم ، فتقدم امامهم الحاج حسين باشاشاهرا سيفه وصرخ بهم : هذا يوم الشهادة والفداء ، فمن اراد احدى الحسنيين، فليتقدم ، فهبوا اليها واعادوا بناءها ، وهذا من الايام العصيبة التي لاقاها المجاهدون ، فالقنابل تمطر على السور والقصف يشتد ، والبناء مستمر لا يثني من عزمهم شيئا .

— ١٥ —

وفي منتصف شهر شعبان ، نقل مركز القيادة من قرب قرية « يارمجه » الى قرية « القاضية »(٣٨) التي تقابل مدينة الموصل في الجانب الشرقي من دجلة ، ونصب جسرا بين القاضية والموصل ، وعبر هو مع الاف من جيشه ليشرف بنفسه على حركات جيشه .

استشار اهل الراى من جيشه فيما يقومون به ، وقد نفذت اكثر القنابل التي معه ، ولم تجد نفعا كما خسر العدد العديد من جيشه ، واهل الموصل صامدون ، واتفقوا على ان يقوموا بخطة عنيفة في الهجوم على المدينة وذلك :

١ . ان يحفروا اربعة الغام في سور الموصل، اثنان منها شمال المدينة ، واثنان في الطرف الغربي منها مقابل مسجد الشيخ قضيب البان (٣٩) ، وذلك لكي يشعلوها عند الهجوم ، وان يدبروا هذا ليلا . وفاته ان اهل الراي والسداد قد حفروا ابارا في لحف السور وستروها ، حتى اذا الغم السور ، فان قوة البارود تندفع الى الابار ، فيسلم السور ، وقد حدث هذا فعلا .

٢ . ان يصدوا الف سلم توضع على السور، لكي يصعد عليها جنوده ،وكان فيجيشه منيتجسس عليهم ويعلم المواصلة بما يدبرونه ، ومنهم «بدوى» ولما علم هذا بتدبيرهم ، وان قنابلهم على وشك النفاذ ، وانهم يحاولون اخر هجوم قوى يكون على السلالم ، ركب فرسه واخذ يدور .

ظاهر السور ويغني : (٤٠)
ديشينا كن خلص
عجورنا كن تم
لكن بالكم بالكم
من الطويل الطويل
على البدن يندم

ولم يعلم الايرانيون بما كان يقوله ، وحسبوا انه يحرض جيشهم على الثبات والحرب ، وعلم الموصليون بما دبره العدو .

٣ . ان يضعوا غرائر (٤١) التبن حول السلالم لكي يشعلوها عند الهجوم ، فيستر دخانها من على السلالم .

٣٨ـ قرية القاضية : تقع على تل يشرف على ارض منبسطة تقابل الموصل ، وهي كانت ملكا لابناء واحفاد يونس بن منعة الأربلي ٥٠٨ ـ ٥٧٦هـ ، واعقب اسرة قام فيها كثير من العلماء والقضاة ، فنسبت اليهم .

٣٩ـ يقع مسجد الشيخ قضيب البان الموصلي ظاهر الموصل ، بقابل باب سنجار ، وبعد عنه قرابة نصف كيلومتر . كان رباطا للشيخ ابي عبدالله الحسين بن عيسى بن يحيى بن علي الموصلي ، ٤٧١ ـ ٥٧٣ هـ ودفن به بعد موته ، وفي سنة ١٢٧٧هـ (١٩٧٥م) وسعته مديرية الاوقاف العامة وبنته جامعا جميلا وصار يعرف بجامع قضيب البان .
جوامع الموصل : ٢٦٠ ـ ٢٦٩ .

٤٠ـ الدبشي بلغة البدو هو البطيخ الاخضر المعروف بالرقي ـ الركي ـ في بغداد ، وباسم : الشمزي في الموصل وهو يشير الى القنابل الكبيرة التي كانت عند العدو .
العجور : مفردها «عجورة» ، يطلق على نوع من البطيخ صغير الحجم ، وهو يشير بهذا الى القنابل التي كانت دون الكبيرة وقد اوشكت على النفاذ .
بالكم بالكم اي انتبهوا انتبهوا .
من الطويل الطويل يشير الى السلالم التي يعدونها .
البدن : هو السور ، يندم : توضع .

٤١ـ ينقل التبن باكياس من نسيج الشعر يسمونه في الموصل خراره وهي محرفة عن غرارة جمعها غرائر .

٤ . ان يضاعفوا القصف بشدة لكي يشغلوا اهل المدينة والمحاربين عما يقومون به من هجوم .

٥ . اختار خمسة الاف من جنوده الاقوياء، وجهزهم بالخناجر والسيوف ؛ لكي يصعدوا على انسلالم ويفتكوا بالمدافعين .

٦ . واوقف ثلة من الخيالة وراء المهاجمين لكي يفتكوا بمن يفر من جيشه ؛ وكان هو مع الخيالة .

قاعدوا هذا كله بايام معدودة وعينوا يوما يهجمون به على البلد تحت جنح الظلام وقصف المدافع الشديدة .

اما اهل الموصل فانهم :

١ . زادوا عدد المدافعين في الجهة الشمالية من المدينة وفي غربيها، وضاعفوا عددالمدافع والبنادق، وكمية كبيرة من القنابل والبارود .

٢ . نقلوا حجارة كبيرة ثبتوها في اعلى السور ؛ ليلقونها على من يقترب من العدو من سور البلد .

٣ . شحذوا السيوف والخناجر ، وكمنوا خلف السور ينتظرون هجوم الاعداء .

وفي غلس الليل امر بتنفيذ ما اعدوه .

اشعلوا الانغام ؛ فاللفمان اللذان وضعوهما في اساس السور ، شمال المدينة عادت قوتهما عليهم ؛ واما اللفمان اللذان قرب باب سنجار ، فتسربت قوتهما الى الابار ، وفشلت هذه المكيدة وعادت عليهم بالسوء .

وفي نفس الوقت ضاعفوا القصف على السور والمدينة ؛ واشعلوا التبن الذي كانوا قد اعدوه تحت السور قرب السلالم ، وصعد المهاجمون على السلالم ، فاستقبلهم اهل الموصل بالسيوف والخناجر يقطعون رؤوسهم ويرمون بها الاعداء ، واشتدت المعركة ، وكلما تقدم منهم جماعة لقوا حتفهم ،وارتبك جيش نادر شاه وكانوا يحاولون الفرار ؛ فامطرهم جندنا بالقذائف والرصاص ، والقوا اكثرهم قتلى في الخندق ، (٤٢) ثم نزلوا الى من سلم منهم وفتكوا بهم بين قتيل وجريح ، وفر اكثر المهاجمين وكان نادر شاه مع الخيالة يصدونهم بالقوة والقتل ، ويحرضونهم على الثبات ؛ وهجموا خمس هجمات عنيفة باءت كلها بالفشل ؛ وان المنهزمين شقوا طريقا لهم بين الخيالة واستمروا في هزيمتهم الى قرية القاضية ورجع نادر شاه خائبا .

اما ابطال الموصل فقتلوا اربعة الاف من جيشه، وجرحوا اكثر من هذا العدد وغنموا غنائم كثيرة ، فكانت جثث القتلى ورؤوسهم تملأ الخندق وما يحف به ، وزار الموصل بعد سنة من الحادثة محمد طه بن يحيى الكردي العراقي(٤٣) ، ورأى بنفسه الجثث والاطراف ، وقال في رحلته : « وبعد سنة اتيت الموصل انا، ورايت اثار القتلى في ارضها كالارجل والايدى والاطراف وغير ذلك » .

— ١٦ —

ووصف الشعراء والكتاب هذه المعركة العنيفة ؛ وماقام به ابطالنا من البأس والشدة والاقبال على الحرب في صد العدو عن بلدهم .

ومن ذلك ماقاله « فتح الله القادرى » في ارجوزته التي وصف بها معركة ناد رشاه من اولها الى اخرها ،ومنها مانظمه في وصف هذه المعركة ؛ فقال : (٤٤)

٤٢ـ كان يحف بالسور خندق عرضه خمسون قدما وعمقه عشرون قدما .
قاموس الاعلام : شمس الدين سامي : ٣٩ .

٤٣ـ رحلة محمد طه بن يحى بن سليمان بن محمد العراقي الكردي ـ مخطوط في دار الكتب المصرية ، رقم ٤٨٠ جغرافيا .

٤٤ـ الشيخ فتح الله بن عبدالقادر المتولي على اوقاف جامعي النبي جرجيس والنبي يونس المتوفى سنة ١٢٠٤ هجري اخذ عن والده وله نظم حسن منه هذه الارجوزة التي وصف بها صمود الموصل ـ نشرناها في مئية الادباء . واعدنا نشرها سنة ١٩٦٥م بعنوان «ملحمة الموصل» وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الادباء الخامس في بغداد ـ انظر الابيات : ٢٢ ـ ٢٤ من الملحمة .

تزاحفت أجنادهم جميعاً ... تبادرت لنحونا سريعا
قد ملاوا الاتبان في الوعاء ... ليجعلوا ذلك كالوقاء
ذو سلم قد قصد التليقا ... وغيره قد طلب التعليقا
كم تسمعوا الضجيج فوق السور ... كذلك الاطفال في القصور
تظن حقاً قامت القيامه ... ما منا شخص أمن السلامه
والصبح قد عاد كليل داج ... من شدة النقع ومن عجاج
وقد علا من حولنا الصياح ... تفانت الارواح والاشباح
صوت الهدير ماليء الفلاة ... أحاطنا من سائر الجهات
وراءهم مواكب الخيل أتوا ... وقد بغوا حقا علينا بل عتوا
تسلق البعض لفوق السور ... ما له من خوف ولا محذور
أسيافهم مشهورة في الأيدي ... كأنهم قاصدوا خير الصيد
هنالك المولى حسين الوالي ... قد حرض الناس على القتال
وهو ينادي : دونكم والجنة ... قد فتحت لأجل أهل السنه
فدافعوا عن دينكم والمال ... كذلك الطفل مع العيال
اذ ضربوا لغماً غدا اليهم ... وعاد نار لغمهم عليهم
تشجع الناس بذاك الوقت ... فلم يبالوا ضرراً من مقت
واشتغلوا بالضرب للاحجار ... كذلك رمي القنبر الصغار
ومن أتى منهم لتحت السور ... لم يقدر الفرار للعبور
فتنظر الرصاص من سورنا قد ... أفنى رجالا مثل سيل اذ ورد
فولوا الاعقاب بالفرار ... وانقلبوا صرعى على الادبار
تطاير الرؤوس والكفوف ... تساقط المئآت والألوف
فامتلأ الخندق من أشباحهم ... الى الجحيم سير في أرواحهم
من سورنا شجعاننا قد نزلوا ... كم كافر من فجرٍ قد قتلوا
وأحرزوا التمنك والسيوفا ... وقطعوا الرؤوس والكفوفا
فولى طهماز الى الخيام ... والجند من خلفه بازدحام
هذا ووالينا الوزير الافخم ... الباذل المال الشجاع الاكرم
نصبت الرؤوس كالتلال ... سلالم صارت كما الغلال
وأغتنم المخلوق بالسلاح ... وصرنا ذاك اليوم في نجاح

فانكسرت شوكة طهماز وقد
وربعه الثاني جريحا قد رجع
فاجتمعت خاناته جميعا
خمس واربعون الف قنبره
الخ .....

عاد وربع جنده لقد فقد
وقلبه من شدة الغيض انصدع
بل عرضوا دفترهم جميعا
من بعدها خمسون الف حجرا(٤٥)

ـ ١٧ ـ

هذا من الايام المشرقة على ام الربيعين ، فان ابناءها الغيارى انفوا ان يدخل مدينتهم من يمسها بسوء ، او يدنس ارضها ، فكانوا اسودا امام عرينهم .

وهو من الايام السود على نادر شاه : عتاده اوشك على النفاذ ، ورجاله دب فيهم الفزع والخوف ، واحجموا ان يعيدوا الكرة ، فان عادوا فسيلقون مالقوه ، ومن المصلحة ان يدعو اهل الموصل الى ايقاف الحرب .

وسبب انتصارنا على جيش نادر شاه وكان اضعاف عدد جيشنا :

١ . كان جيش نادر شاه اكثره من المرتزقة وهم حانقون عليه يحاربون قسرا لا دفاعا عن مبدأ او وطن او اخلاصا لقائد وانما يساقون الى الموت .

٢ . كان نادر شاه يعلم ان جيشه لايصمد امام قوة المدافعين ، فاوقف خلف المهاجمين ثلة من الخيالة ـ وهو معهم ـ وامرهم ان يفتكوا بالمنهزمين من جيشه عند اشتداد المعركة ، لانه يعلم حق العلم ان جيشه المسخر لايقوى على الابطال الذين يدافعون عن اهلهم وبلدهم ، ومع هذا التشديد فان اعدادا من جيشه فروا من المعركة ، وفتحوا لهم طريقا امام الخيالة واستمروا الى قرية القاضية خوفا من بطش ابناء ام الربيعين .

٣ . لم يكن موقفه ومعاملته مع جيشه حسنة : يترفع عنهم ، ويستعمل الشدة والبطش بالمقصرين ، ويدفعهم الى الموت مكرهين ، فخابوا وخسروا .

اما جيش الموصل :

١ . فقد عاهدوا واليهم ـ منذ اول الحرب ـ على ان يحاربوا حتى ينتصروا او يقتلوا .

٢ . انهم يدافعون عن بلدهم واهليهم ، يبذلون النفس والنفيس ، يرجون النصر او الشهادة .

٣ . كان والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي ومحافظها حسين باشا القازوقجي ، مع الجيش في ساحة المعركة ، يشاركان المجاهدين بانفسهما ، يقدمان لهم العتاد وما يحتاجونه ، ولم يترفع احدهما عن الجيش ـ كما كان عليه نادر شاه ، فالتف حولهما اهل البلد ، وخاصة الحاج حسين باشا وابنه مراد بك وابناء عمه ، فكانوا جنودا في المعركة يقاتلون مع الجيش جنبا الى جنب .

٤ . في اشد المواقف كان الحاج حسين باشا الجليلي يقف امام جيشه ، غير مبال بقذف المدافع ، وهذا مادفع جيشه ان يقبلوا على العدو بحماس وايمان . وقد مر بنا عندما انهار بعض ابراج باشطابيا ، وتوقف البناؤون عن اعادة البناء لشدة القصف المتوالي على الموقف ، فانه شهر سيفه ووقف امامهم وحرضهم على الاقدام على البناء ، غير مبال بقذف العدو ، فهبوا خلفه الى العمل ، واعادوا بناء الابراج ، فكان الحاج حسين باشا جنديا بين الجنود

٤٥ـ وذكر المحافظ القازوقجي في التقرير الذي رفعه للسلطان محمود الاول ان عدد القنابل سبعون الفا ، وذكر بعضهم ان مجموع القنابل المختلفة ، والحجارة التي رمى بها المدينة تقارب مائة الف ـ ادركنا عددا كبيرا منها في المدينة ، وهي متفاوتة الحجم ، وقلما كانت تخلو دار من قنبلة او اكثر ، يسندون بها الباب عند فتحه ، ويضعون بعضها على فوهات البلاليع .

ويذكر الشيخ السويدي : لما زار الحاج حسين باشا الجليلي في سرايه ، وجد اكواما منها في فناء السراي .

ومن طريف ما فعله الاستاذ ارشد العمري عندما كان مهندس بلدية الموصل سنة ١٩٢٥م انه اتخذ حديقة في قسم من ارض « ابج قلعة » وفصل بين اقسام الحديقة بفواصل على شكل حيات كبيرة من التراب ، واتخذ عيونها فنابل كبيرة من التي وجدها في فناء القلعة .

والاستاذ ارشد العمري من المهندسين المبدعين ، له فضل في تنظيم بغداد ، وتزيينها بالحدائق ، وكان مثال النزاهة والاخلاص في عمله ، تقلد رئاسة الوزارة العراقية ،

يعرض نفسه لاشد المواقف ، ليقتدي به جنده الذين والبطش ولا يبالي بمن يقتل او يؤسر .

شتان ما بين موقفي الجيشين : جيش العدو كبير بعدده وعدّده ، لا تربطهم رابطة ولا يجمعهم مبدا ، يساقون الى الموت ويحشرون الى المعارك بالقوة وقائدهم مترفع عنهم ، لا يحسن الا الشدة والبطش ولا يبالي بمن يقتل او يؤسر .

وجيشنا يجمعهم الحق والدفاع عن الاهل والوطن متكاتفون مع بعضهم ، ملتفون حول رئيسهم الذي كان يشاركهم في اشد المواقف ، عددهم اقل بكثير مما كان عليه جيش العدو(*) ، الا ان ايمانهم بحقهم هو العدد وكل واحد منهم يقبل على الحرب ولسان حاله يقول :

نحن بنو الموت اذا الموت نزل
والموت احلى عندنا من العسل

واعطى المواصلة درسا بليغا لنادر شاه ، فانهم لم يكتفوا بالنصر ، فاندس بعضهم في جيشه ودخلوا في احدى الليالي مقر قيادة نادر شاه وعادوا بالغنائم الى اسفل السور ، والقى اليهم اخوانهم الحبال فتسلقوا وعادوا غانمين — وهذا ما افزع نادر شاه وشدد الحراسة على مقر القيادة .(٤٦)

يئس نادر شاه من حرب اهل الموصل ، فقد حشد لهم اكبر مايمكنه من جيش وعتاد ، وضرب المدينة بسبعين الف قنبلة وارتد عنهم خائبا خائفا حذرا ان يهجموا عليه ، خاصة بعد ان سطوا على مركز قيادته .

اخذ يسعى بالصلح مع اهل البلد ، وارسل كتابين احدهما للوالي الجليلي ، والاخر للمحافظ القازوقجي ، يطلب توقيف الحرب بين الجانبين وتقرير الصلح، وانه لم يضمر سوءا للدولة العثمانية ، وكان قد أرسل قبل هذا محمد اغا كتخذاه والي بغداد ،الى السلطان العثماني يعلمه برغبته في التوفيق بين المذاهب — ولكن السلطان ومن يتبعه لم يجاوبوا على هذا الطلب ، مما حمله على اعلان الحرب .

والان وقد تبين له ان الصلح من القتال بين المسلمين ، راح يرغب بتوقيف الحرب والسعي الى التقارب .

اما والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي ، ومحافظها حسين باشا القازوقجي ، فلم يلتفتا الى طلبه ، ظنا منهما انه يريد تهدئة الامور ليهجم عليهم . فاعادوا الرسل واعلموهم انهم لايرغبون بتوقيف الحرب ، وبقي الجيش مرابطا فوق السور مع عدده .

فاعاد نادر شاه الكرة وارسل اليهما وفدا اخر، شرح لهما شدة رغبته في الصلح، وان يتوسطا بينه وبين السلطان العثماني في ازالة مابينهما من خلاف وحروب وان يكون هدف الطرفين التقارب بين المسلمين !

كما طلب ارسال وفد من عقلاء البلد اليه لكي يتفق الطرفان على مايرونه من صالحهما .

فاختاروا للوفد قره مصطفى باشا مير الاى الموصل (٤٧) ، وهو معروف بتدبيره وعقله ، ومعه قاضي الموصل ، وكان عالما من علماء الاتراك ، حسن العقل . وعلي افندى الفلامي مفتي الشافعية (٤٨) من علماء الموصل البارزين ، فانزلوهم بسلال من فوق السور .

ولما وصل جيشه حف بهم القوم وساروا بهم الى معسكر نادر شاه قرب قرية القاضية ، فاستقبلهم القواد والحجاب بكل اجلال واحترام وساروا بهم الى خيمة نادر شاه .

ولما دخلوا عليه استقبلهم بلطف وكلام جميل، واثنى على ثبات اهل البلد ، وما ابدوه من شجاعة وبسالة وصمود امام قوته الكبيرة كما اثنى على الوالي الجليلي والمحافظ القازوقجي في حسن تدبيرهم امور الحرب بدقة واحسان .

واعلمهم انه عندما قصد الموصل ، لم يكن يرغب في الحرب، كما بين لهم في كتاب علي اكبر الموجه الى مفتي الموصل ، وانه يريد ان يوفق بين المذاهب ونصح اهل الموصل ان يخرجوا لاستقباله ، ولما اعرضوا عن اجابة طلبه حاربهم — ارجو ان تعلموا الوالي

٤٦— رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ترجمة الدكتور محمود حسين الامين — بغداد ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م ص : ١١٦ .

(*) كان جيش نادر شاه يزيد على ١٧٥ الف مقاتل ، وجيش الموصل ثلاثون الف مدافع .

٤٧— قره مصطفى باشا : محافظ الموصل وامير الجيوش ، اول من سكن الموصل والده يعقوب اغا رئيس قبائل الموالي واشتهرت الاسرة بابنه قره مصطفى باشا ، وتولى اولاد قره مصطفى امارة الجيوش في الموصل وغيرها ، وهم يعرفون اليوم ببيت الاي بكي — وهم عباسيون . منية الادباء : ٨٢ ، مجموع المكتابات : ١٠٩ .

٤٨— علي بن مصطفى الفلامي المتوفى سنة ١١٩٢هـ ، كان احد علماء الموصل البارزين ، تولى الافتاء على المذهب الشافعي سنة ١١٤٤هـ بعد والده وهو شاعر مبدع .

والمحافظ بهذا، وانا لااريد شراً بالبلد واهله ،وانما بفضل المصالحة . ارجو اعلامي بما يراه ـ استمرار الحرب او الصلح .

ثم ذهبوا بهم الى خيمة علي أكبر ملاباشي ـ رئيس علماء نادر شاه ـ ولما اقتربوا من خيمته ، خرج اليهم ورحب بهم، وبعد ان استقر بهم المجلس ، اثنى على ثبات اهل البلد وشجاعتهم ، كما اثنى على الوزيرين وحسن تدبيرهما ،وعرض لهم ان يتكرم الوزيران بتقديم بضعة خيول هدية للشاه .

علم السفراء انه بطلبه هذا ليظهر لجنده ان الواصلة هم الذين تقدموا بالصلح ، وقدموا للشاه مايرضيه . وجنده قد ذاق ماذاق من جند الموصل .

بات السفراء عندهم في قرية القاضية ، وفي صباح اليوم الثاني عادوا الى الموصل وشرحوا للوالي والمحافظ ما دار بينهم .

ارسل كل من الوزيرين ثمانية خيول ، ارسل الجليلي خيوله مع ابن عمه قاسم اغا الجليلي ،(٤٩) وكان هذا شاعرا ، لسنا ، حسن التدبير يعتمد عليه الحاج حسين باشا ، لما رآه من ارائه الصائبة ، وحسن تدبيره .

اما القازوقجي فانه ارسل خيوله مع احد رجاله المقربين اليه ، فاستقبلوا في خيمة علي اكبر ملا باشي، وبعد ان استراحوا طلبهم الشاه فقدموا اليه الخيول ، وعليها رخوت جميلة ثمينة مزينة بالحرير والاطلس ، فاعجب بهما نادر شاه وقدم هدايا لاعضاء الوفد ، واطلق معهم ماكان عنده من اسرى ورجعوا جميعا الى المدينة .

ظل الجيش الموصلي مرابطا على السور والابراج ، مع كامل اسلحتهم ، حذرا ان يباغتهم نادر شاه ويعيد الكرة عليهم .

كان لهذه المنحة اثر في البلاد ، فان المواصلة صدوا اكبر جيش دوخ الهند والافغان ، وهدد الدولة العثمانية ، ولكنه باء بالفشل امام ابطال ام الربعين ، ترددت اصداؤه في العالم العربي ، فنظم الشعراء القصائد والاراجيز مشيدين بهذا النصر(٥٠)، وترنم المغنون بالتنزيلات الحماسية ، وكتب المؤرخون فصولا عنها، ومن ذلك ماقاله السيد خليل البصير (٥١) ١١١٢ ـ ١١٧٦هـ في احدى اراجيزه ، واصفا صمود اهل بلده ، وفتكهم بجيش المدو ، فقال :

٤٩ـ قاسم اغا الجليلي : تقدم الكلام عنه ، وهو احد الشعراء البارزين في عصره ، يمتاز برجاحة عقله وحسن تدبيره مما حمل الحاج حسين باشا الجليلي ان يستشيره ويعمل بآرائه .

٥٠ـ نشرنا في كتاب « مئية الادباء » ماوقفنا عليه من الاراجيز وما دون عن هذه الحادثة في الملحق رقم ـ ١٢ ـ ص : ٢٢٤ ـ ٢٧٧ .

ونشرنا ارجوزة السيد خليل البصيري في مجلة المجمع العلمي العراقي ـ العدد الاول من سنة : ٢٢ .
كما نشرنا ارجوزة السيد فتح الله القادري التي تقدم الكلام عنها .

وان الاستاذ محمد بهجت الاثري اعاد نشرهما ، ونشر معهما ما وقف عليه من اخبار هذه الحادثة في الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثون تحت عنوان « ارتسامات حملات نادر شاه في آثار أدباء حديقة الزوراء » .

٥١ـ ترجمنا للسيد خليل البصيري في مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد الثالث عشر ، عندما نشرنا ارجوزته .

فخادعونا خدعةً لم تُكتَم ... كحفر الغام ، ونصب الشلَّم
فضرهم ما صنعوا من اللقم ... اذ رده الله عليهم فقصَم
وكل سلم رفيع نصبا ... جرَّ الى السور ومنهم سَلَبا
خفنا احتيالهم وسوء مكرهم ... فلم يحق مكرهم الا بهم
فقارب السور المبارزون ... وانهم لنا لغائظون
لما رأونا حافظين السورا ... « ولوا على أدبارهم نفُورا »
والجهد في كفاحهم بذلنا ... ما قتلوا معشار ما قتلنا
فاصبحوا في ذلك اليوم العَسِر ... «كأنهم اعجازُ نخلٍ مُنقَعِرْ»
لما أريقت منهم حمر الدما ... بيضنا القوا الينا السَلَما
فأرسل النادر سلطان العجمْ ... يحاول الصلح ويبتغي السَلَم
وكلما اوقدوا نار الحربِ ... أطفأها الله بعيثْ الغيب
فصالح المولى أمير الموصلِ ... أعني حسينا صاحب القدر العلي

وللعلامة ابو الخير عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله السويدي قصائد في هذا ، يقول في احداها(٥٢) :

يا اهل موصل فاخروا من شئتمْ ... فلأنتمْ أحرى بكل علاء
لا زلتم بسعادةٍ أبديةٍ ... يا أهل تلك الموصلِ الحدباءِ

وفي ٤ رمضان قوض نادر شاه خيامه ، وعاد من حيث اتى ؛ يجر اذيال الفشل والاندحار .

ملحق رقم — ١ —

الكتاب الذي ارسله ملا باشي علي اكبر الى مفتي الموصل

السيد يحيى افندى الفخرى

بسم الله العلي الاعلى ، الموصل الى المدارج العلى ؛ هذا كتاب منا الى العالم النبيل ، والنحرير الجليل المفتي يحيى ؛ احياه الله كما يشتهي ويتمنى ، وصانه من كل طارق وبلوى ، والى قاطبة قاطني الموصل ، حفظهم الله من الصيب والوابل ، كي يوقظهم من رقدة الغفلة ، وسنة العثرة ، ويزيل عنهم الدهشة والوحشة، فليستمعوا له وينصتوا، استماع قبول واذعان ، وايقان واتقان ؛ وعسى ان ينجوا ويفرحوا ، ولا تلقوه وراء ظهوركم القاء تعنت طغيان ؛ تحزنوا وتندموا .

اعلموا ياخواني المؤمنين : انا جند الله ، خلقنا من رحمته وغضبه ، ثم البشرى لمن اتبعنا وهوانا ؛ والنذرى ثم النذرى ، لكل من خالفنا وعصانا ، او ليس لكم في اثار الماضين تبصرة ومعتبر ، الا فتذكروا اخبار الهند والسند والترك، في النموذج الذي وصل اليكم من وقائعهم وملاحمهم، وحقائق جيرانكم من اهل كركوك وما والاها ، كيف تعنتوا فندموا ، ثم اطاعوا فنجوا ؛ فهم ذوو الحظ في جلباب امن وامان ، وشفقة ودعة وامتنان « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » « واتقوا فتنة لا تصبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة » لا تقدرون على الدفاع،

٥٢ـ انظر مجلة المجمع العراقي ، المجلد ٢٣ ، العدد الاول (ص : ٤٢) .

فلا تعرضوا اعماركم للانقطاع ، بالقاء شبه من جهلة لا يعرفون الخير من الشر ، ولا الخبر من الاثر ، قال الله عز من قائل « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وورد في الحديث الشريف « ان من فرج كربة عن اخيه المؤمن فرج الله عنه سبعين كربة يوم القيامة » ، ومن راى اخاه في حفيرة فانجاه ، انجاه الله من النار .

وديت اليكم كتابي وصحيفتين مع السيدين النجيبين الفخيمين قاضي كركوك حسن افندي وصحبته محمد افندى ومصطفى اغا يوصلونه اليكم ، ويرشدونكم الى الصواب ، ويحذرونكم من العقاب ، فعليكم ان تنظروا اليه بعين الانصاف ، متجنبين عن التعنت والاعتساف، واستقبلوا السلطان العادل الكامل الرؤوف والخاقان الاعظم المطوف ، ادام الله عز جلاله على مفارق العالمين ، تفرحوا وتسروا ، فان همته العلية العالية معروفة بالتشفق والاستعطاف ، وما له مباغضة ولا معاناة لسلطانكم السلطان بن السلطان والخاقان بن الخاقان ثاني اسكندر ذي القرنين ، خادم الحرمين الشريفين ، السلطان الغازي محمود خان، ادام الله ظلال جلاله طمعا في ملكه ورعيته ، بل همته العلية الشاهنشاهية معروفة بحفظ ملكه حلها، ويقي المسلمين شرها فلا تعرضوا انفسكم من نزول نيران غضبه وشدة بطشه وسخطه، انما علينا البلاغ وعليكم الحساب، فعلينا اتمام الحجة الغراء ، وعليكم سلوك المحجة البيضاء وليبلغ الشاهد منكم المستمع لكتابنا الغائب والسلام على من اتبع الهدى .

ملحق رقم ـ ٢ ـ

الكتاب الذي ارسله السيد يحيى افندي الفخرى ـ مفتي الموصل ـ الى ملاباشي علي اكبر ـ جوابا على كتابه :

بسم الله، وما اعتصامنا بالله، ومن لاذ بكهف كفايته كفاه وحماه . هذا كتاب فصلت اياته ، وتحدثت معجزاته، وظهرت شواهددعوته وبيناته، ظهور نار القرى ليلا على علم ، بل هو اشهر ، كجلمود صخر حطه السيل من عل .

الى ملا باشي علي اكبر ، اجرى الله بذباب قهره من انف رعونته قطرات الشرور المتصاعدة الى صماخ دماغه ، من ابخرة النخوة والفرور ، واخمد شرارات تلك النية الفاسدة بصرصر الدمدمة الالهية ، كما اهلكت عاد بالدبور .

وصل كتابكم المرسل الى العامة المشتمل بزعمكم على الطامة « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » مفتخرين به بانكم جند الله ، مخلوقون من الغضب « تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب » فاجابوا حين قرىء على رؤوس الاشهاد ، وشاموا ما انطوى عليه من الابراق والارعاد ، واحاطوا بما اودعتموه من الانذار والابعاد ، نعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الشقي الرجيم « وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعون اليه وفي اذاننا وقر وا من بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون » فالعياذ بالله امن بعد ايمانا وطاعتنا لسلطاننا ، والمقاتلة دون اموالنا ، والمكافحة عن اولادنا وعيالنا ، يهولنا منكم شقاشق اللسان، ويروعنا حسن البيان ووسوسة الشيطان: وكثرة الهذيان .

قام الحمام على البازى يهـدده
واستصرخت باسود البر ضبعه
يامن يسد فم الافعى بأصبعـه
يكفيه ماقد يلاقي منه اصبعـه

فما وعيدكم عندنا الا كصرير الباب ، او كما طن في لوح الهجير ذباب ؛ افرايتم ان القصاب تهوله كثرة الغنم ، او الاسد الغشنشم يدهشه تراكم النعم ، تذكرونا بما فعلتم بالهند والسند مع اولئك العلوج ، وما سطوتم على الترك بقبة ياجوج وماجوج ، وتدهشونا بما فتحتم من قلعتي كركوك واربيل وترعبونا بامثال هاتيك الاباطيل « كلا ستعلمون ثم كلا سوف تعلمون » انرتاع بالقراع ونحن الاسود الضارية ، والسباع الكواسر العادية ، اسيافنا صقلية ، وسطواتنا ثقيلة، وحلومنا رزينة، وقلوبنا كالحديد متينة ؛ وبلدتنا بحمد الله حصينة .

لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل

ستر العرش مسبول علينا ، وعين الله ناظرة الينا ؛ بحول الله لاتقدرون علينا ، وذلك بعناية الله، ووفور عددناواعدادنا، موصول بصيانتنا وامدادنا، من طريق سلطاننا الباهر السطوات ، البعيد ، الهمة والخطوات ، كهف الاسلام والمسلمين ، حامي حوزة الدين ، حافظ بيضة الايمان والمؤمنين ، سلطان البرين، وخاقان البحرين، وخادم الحرمين الشريفين ، ذو السطوات الخاقانية التي لاتبارى ، والعزمات القانية التي لاتجارى ، سلطان سلاطين الافاق ، والقاهر بامر الله لاعدائه على الاطلاق ، قهرمان الماء والطين ، ظل الله تعالى في الاراضين ، فسوف يمدنا بجنود لاقبل لكم بها ، فترجعون على الاعقاب ناكصون ، ويخرجكم منها اذلةوانتم صاغرون فكيف تهددونا وانتم لعظمة شوكة العثمانية تعرفون ، ومما تخوفونا وكانكم لذلك محققون ، وبما تقوله تشهدون «وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون» فيالله العجب كيف منا الطاعة تؤملون ، والدخول في ربقة الخيانة تطلبون ، ونحن ابا عن جد بانعام سلطاننا المظفر متقلبون وبفواضل احسانه متسربلون .

ورثناهن عن آباء صدق
ونورثها اذا متنا البنين

مع انا من خاصة اهل السنة والجماعة ، فلا سمعا لكم ولا طاعة ، واهلا بالشهادة والسعادة هذه الساعة :

ردى حياض الردى يانفس واتركي
حياض غير الردى للشاء والنعم

فما بيننا الا ماصنع الحداد من سيوف حداد ورماح مداد ، ويفعل الله جل شانه ما اراد .

حرر عن لسان خادم اعتاب الدولة العثمانية الحاج حسين الجليلي والي مدينة الموصل المحروسة وحسين الوزير والي حلب الشهباء ومحافظ البلدة المحروسة وكافة وجوه البلد وعوامها والسلام .